أساليب الشرح والإيضاح
ومقاماتها
في التربية والتوجيه

دراسة بلاغية تطبيقية

د. محمد بن عبد الرحمن الخراز

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المشارك

في قسم اللغة العربية وآدابها

بجامعة القصيم

١٤٣٤-١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم صل وسلم على أبلغِ مَن بَين وأبَان وأبلغَ، ثم افتَح لنا من عندك فتحا مبينا بليغا نافعا، وأنت خير الفاتحين، أما بعد:

فإن حِس التربية والتوجيه لا يمكن بحال من الأحوال أن ينفك عن أحد من العقلاء، فضلا عن أي مسلم يقرأ في القرآن الكريم والحديث الشريف تكليفا صريحا له بأنه راع ومسؤول عن رعيته، وأنه بِحِسِّ المسؤولية والتبليغ صارت أمته خير أمة أخرجت للناس..

ومن هذا المنطلق تَلتفت العين ويَعمل الفكر بحثا عن ألطف الطرق لإحداث التغيير الإيجابي المطلوب، ولما كان اللسان هو الطريق الشائع من طرق التربية والأمر والنهي، كان لزاما على كلِّ وَلي أمرٍ، بأي مستوى ، وعلى أي صورة أن يكون مُتمتعا ولو بالحد الأدنى من مهارات الأساليب القولية في أداء مهمته.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث لتربط العِلم الساكن في الكتب والمراجع ، والمترددة أصداؤه بين أروقة الجامعات وقاعات الدراسة_ بالواقع المعاش، تستمد منه الأمثلة، وتقدم له التصور، ونقصد بذلك علم البلاغة، وأساليبها.

وبهذا الهدف قد نكون _بتوفيق الله_ قدمنا مقاربة عملية لتحقيق هدفين:

الأول: هدف علمي بحت، وهو إحياء علم البلاغة، أو الإسهام في إحيائه وربطه بالواقع، وتيسير قواعده، وإخلاؤها من أثقال التقسيمات والتفريعات والتعريفات التي لا يستدعيها الواقع التطبيقي ولا يتطلبها الأداء العملي.

الثاني: تزويد المربي المهتم، والواعظ المتحمس، والداعية المتصدر، بقواعد علمية بلاغية ، تدور حول صياغة الأساليب واختيار التعابير، بما يناسب المقام والسياق، ليختصر لهم الطريق، ويخفف عنهم من عبء المعارضة والاعتراض.

مجال البحث وميدانه:

إن البحث في هذه الأساليب وألوانها وتطبيقاتها أوسع من أن يحويه بحث واحد ، أو اثنان، أو ثلاثة، أو يزيدون، لِكثرة طُرقة، وقلة مَن طَرقه، ولتنوعه مسالكه، ووحشة سَالِكه، واختلاف مقاماته، فلذا تصديت بِثُلة من البحوث البلاغية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالتطبيقات العصرية؛ فقدمت بحثين نُشرا في مجلات سابقة، لغرض الترقية لدرجة أستاذ مشارك، ولقيا بحمد الله من الثناء والقبول ما لم أتوقعه، وأولهما كان بعنوان:(القول اللين وخلافه، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المفهوم والتطبيقات، دراسة بلاغية تحليلية)، وثانيهما بعنوان: (مطابقة الأسلوب لمقتضى الحال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صوره وتطبيقاته، دراسة بلاغية تحليلية).

وها أنا ذا اشفع هذين البحثين بثالثهما، ليزيد في إيضاح الأساليب البلاغية الممكن تطبيقُها والإفادة منها في هذا الميدان الحيوي الذي لا يَنفك يتراءى أمام أعيننا في كل لحظة وآن.

منهج البحث:

يقوم البحث على منهج التحليل والمقارنة والتقييم.

وتتم المقارنة للأساليب بما يمكن أن يقاربها من النظائر الأخرى، للوصول إلى الهدف من هذا البحث، وهو تقييم تلك المواقف تقييما بلاغيا علميا، من خلال النظر في علاقة الأثر بالأسلوب البلاغي المستعمل.

وقد جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث؛ تُبرز ما يحتاج إليه عنوانه من وقفات وتحليلات وتقويمات، حيث هو بعنوان: (أساليب الشرح والإيضاح، ومقاماتها؛ في التربية والتوجيه).

وهي:

المبحث الأول: بلاغة التفصيل والإيضاح بأساليب التصوير الفني.

المبحث الثاني: بلاغة التفصيل والإيضاح بأساليب الإطناب.

المبحث الثالث: بلاغة التفصيل والإيضاح بأسلوب الحوار.

والله الموفق

د. محمد بن عبد الرحمن الخراز

المبحث الأول

بلاغة التفصيل والإيضاح بأساليب التصوير الفني

توطئة:

طرق البيان المشهورة هي التشبيه، والمجاز، والكناية، والتعريض.

والمقصود بالتشبيه –كما هو مشهور في كتب البلاغة– مقابلة شيء بصورة تشابهه من وجه أو وجوه متعددة، باستخدام أداة التشبيه، وهي الكاف، أو مثل، أو كأن، ونحوها.. وقد يقع التشبيه بغير أداته، مبالغة في إلحاق المشبه بالمشبه به في وجه الشبه.

ومنه (تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار في القرآن قال تعالى في وصية لقمان لابنه: {واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} أي أوحش الأصوات وأقبحها.

قال القاضي: وفي تمثيل الصوت المرتفع به ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة.

وقال معين الدين الصفوي شبه الرافعين صوتهم بالحمير من غير أداة التشبيه مبالغة في التنفير)[1]

---

[1] خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، للبغدادي: ٥٧/١

فلدينا في التشبيه أربعة أركان: مشبه، ومشبه به، وأداة تشبيه، ووجه شبه. ويُعتمد فيه على وجود طرفي التشبيه، وهما المشبه والمشبه به.

والاستعارة مرجعها إلى التشبيه، فهي تشبيه حُذف أحد طرفيه، إما المشبه، أو المشبه به.. وذلك للمبالغة في إثبات الصورة للمشبه. قال عبد القاهر الجرجاني: (أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل والتشبيه)[٢]

والمثل عبارة عن صورةِ قصةٍ، أو جزءٍ يعبر عن القصة كلها، نُقل من موضعه الأصلي إلى الموضع الجديد المشابه لذلك الموضع، لوجود علاقة بين الموضعين.

فهذا توضيحات مبسطة لتعريفات التشبيه والاستعارة والمثل.

فإنهم عرفوا التشبيه بأنه (إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كيفيتها قوة وضعفا)[٣]

والاستعارة بأنها: (ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه)[٤].

والمثل بأنه: (قولٌ في شيءٍ يشبه قولاً في شيءٍ آخر ، بينهما مشابهة؛ ليُبَـــيِّنَ أَحَدُهما الآخرَ وَيُصوِّره).

وأما الكناية فهي –كما عند السكاكي في مفتاح العلوم– (ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما ذكر ما يلزمه؛ ليُنتقل من المذكور إلى المتروك كما نقول فلان

---

[٢] أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني: ١٥/١

[٣] خزانة الأدب، للحموي: ٣٨٤/١

[٤] خزانة الأدب للحموي: ٢٢٤/١

طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة [...]وسمي هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح) [٥].

والتعريض هو: المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، أي المفهوم من سياق الكلام وقرائنه، ويصح أن يحمل على الحقيقة أو المجاز، على حد سواء، فهو عدول عن التصريح إلى الكناية والاشارة، وهذا يقع في سائر فنون الكلام وأنواع المقاصد.[٦]

أثر التمثيل والتشبيه في الإقناع والتغيير:

كل من هذه الأساليب يفيد في تصوير المعاني، وتقريبها من الذهن، وتأكيدها، وتقريرها.. وينفع في إقناع المخاطب بصحة كلام الناصح، حيث يرى المعاني بمرآة التشبيه، فتبدو له جلية قريبة قوية.

«فالأمثال –كما يقول الحكيم الترمذي– نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عيانا.

فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة؛ فَمَن عَقَلَ الأمثالَ سماه الله تعالى في كتابه (عالِماً) لقوله تعالى: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} [سورة العنكبوت: ٤٣]»[٧]

---

[٥] مفتاح العلوم، للسكاكي: ٤٠٢

[٦] ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع،لابن معصوم: ٤٥٠

[٧] الأمثال من الكتاب والسنة، للحكيم الترمذي: ١٤/١

ولذا استنبط أحد العلماء من حديث نبوي جاء على التمثيل بأن فيه إرشادا لضرب الأمثال فى الدين ، والعلم ، والتعليم.[٨]

<u>من التطبيقات الدالة على تأثير الأمثال والتشبيهات وسائر طرق تصوير المعاني:</u>

هذه موعظةٌ لإبراهيم ابن أدهم وقد وقف على القبور فنادى أصحابه.. واحدا واحدا.. ثم التفت إلى من حضر معه وخاطبهم مقبلا عليهم بوجهه ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب و قال: إخوتي عليكم بالمبادرة و الجد و الاجتهاد سارعوا و سابقوا فإن نعلا فقدت أختها سريعة اللحاق بها)[٩]**. فلو استبدل هذه العبارة بالقول (فإنكم لا بد بهم لاحقون)،ونحوها، لما أدت نفس الأثر.**

قال الزمخشري في الكشاف: (ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثِل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كالمشاهد)[١٠] **.**

والمثل يطلق (على القول البديع السائر بين الناس الصادر من قائله في حالة عجيبة [.... وهم] لا يكادون يضربون مثلاً، ولا يرونه أهلاً للتسيير، وجديراً بالتداول، إلا قولاً فيه بلاغة وخصوصية في فصاحة لفظٍ وإيجازه ووفرة معنى ، فالمثل: قول عزيز غريب ليس من متعارف الأقوال العامة بل هو من أقوال فحول

---

[٨] شرح صحيح البخاري، لابن بطال: ١٦٣/١

[٩] صفة الصفوة، لابن الجوزي: ٧٧٩ و كتاب الزهد ا لكبير، للبيهقي: ٢٢٠/١

[١٠] الكشاف، للزمخشري: ٧٢/١

البلاغة فلذلك وُصف بالغرابة أي العزة مثل قولهم : "الصيف ضيعتِ اللبن" وقولهم : "لا يطاع لقصير أمر")[11].

التشبيه وضرب الأمثال في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم من التشبيهات والاستعارات والأمثال الشيء الكثير، ويظهر أثره لمن تأمله، سواء لينتفع به لنفسه، أو ليعظ به غيره، ويساعده في ذلك الرجوع للتفاسير البيانية، وللكتب المختصة، ككتاب (الأمثال في القرآن) لأبي عبد الله الزرعي، وكتاب (الأمثال من الكتاب والسنة)، للحكيم الترمذي.

قال الزمخشري عن أمثال القرآن الكريم، وأمثال الرسل والأنبياء: (ولأمر مَّا أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء قال تعالى : {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [سورة العنكبوت: آية ٤٣] })[12]، وقال في موضع آخر: (لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني)[13]

ففي القرآن الكريم أمثال لقلب المؤمن وأعماله، ولقلب الكافر وأعماله، ولأعمال المشركين التي لا تنفعهم، ولأصنامهم كذلك، وللشرك وللتوحيد، ولمن حملوا التوراة ثم لم يحملوها ولم ينتفعوا بها.. وغير ذلك كثير.

قال فخر الدين الرازي: (المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه [...] ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان

---

[11] تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: ٣٠٢/١

[12] الكشاف ، للزمخشري: ٧٣/١

[13] الكشاف، للزمخشري: ٥٥٣/٢

مجرداً عن ضَرْبِ مثلٍ له لم يتأكد وقوعُه في القلب كما يتأكد وقوعُه إذا مُثِّلَ بالنور.

وإذا زُهِّد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قُبحه في العقول كما يتأكد إذا مُثِّل بالظلمة.

وإذا أُخبر بضعف أمرٍ من الأمور وضُرب مَثَلُهُ بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجرداً، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ، قال تعالى : {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ}،ومن سور الإنجيل سورة الأمثال)[١٤]

التشبيه والتمثيل في السنة المطهرة:

وفي السنة النبوية أمثال مضروبة أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، ففيها أمثال للدعوة والداعي والمدعوين، وأمثال للقرآن ونفعه، وأمثال لأقسام الناس مع القرآن، وأمثال للموت والآخرة، و الحياة الدنيا، وللعب الميسر واللهو، وللمنافق والمؤمن، وللمنفِق والبخيل، والرسل والأنبياء وللصحابة والمؤمنين، وللصلوات الخمس وما يغفر الله بهن من الخطايا..

وقد دعا النبي ﷺ رجلا إلى الإسلام بضرب المثل له، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ فقال: "أرأيت لو كان لك عبدان، أحدُهما يطيعك ولا يخونك ولا يُكذبك والآخر يخونك ويُكذبك؛ الذي يطيعكَ ولا يُكذِّبكَ أحبُّ إليك أم الذي يخونك ويكذبك؟" قلت: لا؛ بل الذي لا يخونني ولا يكذبني ويصدقني الحديث أحب إليَّ! قال: "كذاكم أنتم عند ربكم". رواه الطبراني وغيره.

[١٤] التفسير الكبير: ٦٢/٢

التشبيه والتمثل في كلام الحكماء:

ضرب الأمثال مسلك جليل من مسالك حكماء الناصحين، فهو يجتذب النفوس إلى الموافقة والمجاراة في المعاني التي يسعى المتكلم لغرسها في نفوس المنصوحين.. قال الحكيم الترمذي: (ولم يزل الحكماء يضربون الأمثال)[١٥]

وقد شاعت العناية بضرب الأمثال بين أهل الوعظ والتربية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى عُرف بها بعضهم، كابي مسلم الخولاني[١٦]، الذي وُصف بأنه (صاحب أمثال)، وقد حكى أصحاب السير عديدا من أمثاله الرائعة، ذات التأثير البين في المخاطبين، ومن ذلك أنه في يوم من أيامه طلب قوما لا يذكرون الدنيا في مجلسهم ذلك اليوم؛ ليجلس إليهم، فأبصر حلقة في المسجد فظن أن فيهم مراده، فأقبل عليهم، فإذا هم في أمر الدنيا، ففزع لذلك، ثم قال لهم: (سبحان الله! هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له، فجلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، على ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا)[١٧].

وكان ضرب الأمثال دأبه، وبدت ذات إقناع وتأثير في المخاطبين، حتى إنها لتقطع عنه الجدل، وتلزم بالحق، كما في رده على رجل قال له حين كبُر ورقَّ

---

[١٥] الأمثال من الكتاب والسنة: ٥٦

[١٦] أبو مسلم الخولاني: قال عنه الأصبهاني في حلية الأولياء (١٢٠/٥) : هو أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَوْبٍ، تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَبَعْضُ كَلَامِهِ مَعَ الزُّهَّادِ الثَّمَانِيَةِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ، قِيلَ: كَانَ إِسْلَامُهُ عَامَ حُنَيْنٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَانْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ.

[١٧] صفة الصفوة، لابن الجوزي ٨٠٨ ، كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل: ٦٨

عظمه: لو قصرت عن بعض ما تصنع!؟. فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تَسْتَبْقُوا منها شيئا؟ قالوا: بلى! قال: فإني أبصرتُ الغاية؛ وإن لكل ساع غايةٌ؛ وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق)[١٨].

قال ابن أبي الدنيا: (ضرب الأمثال يقرب المعاني البعيدة إلى فهم القاصرين والمتقاعدين عن رتبة أهل البصائر والمتميزين؛كما ضرب الله تعالى أقل الأشياء مثلا لنوره في قوله تعالى {الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكواة}[النور:٣٥] كما قدمناه في إيمان المؤمن وما بعده في أعمال الكفار)[١٩].

قالت نورة بن محمد السعيد: من أبرز الشواهد على ضربه للأمثلة -تعني الشيخ ابن عثيمين رحمه الله- وتقريبه للمعاني ماحدث له مع والدِي -رحمهما الله- حيث كان لدى والدي يرحمه الله بيت زائد عن حاجته ورغب إيقافه بعد موته، واستشار الشيخ هل يفعل أم يتصدق به في حياته؟ فقال له الشيخ: إذا كنت ماشيا؛ فهل تضع السراج أمامك أم خلفَكَ؟ فقال: بل أمامي. فقال: إذاً تصدَّق الآن.[٢٠]

<u>التمثل والمثل العملي التطبيقي:</u>

وكما يكون المثل قوليا، كما في النصوص السابقة، فقد يكون عمليا، ويقصد منه نفس المقاصد المرادة من التمثيل القولي، أي تقريب البعيد لتقر به النفس، وتوضيح الخفي حتى يكون كالمعاين الظاهر، وتقرير المعنى لتستقر به النفس

---

[١٨] حلية الأولياء، للإصبهاني: ١٢٣/٢

[١٩] كتاب الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا: ٨٤

[٢٠] صفحات مشرقة من حياة الإمام ابن عثيمن: ١٢

وينشرح به الصدر، وتحسين المعروف لتتحرك له القلوب وتشرئب إليه النفوس، وتقبيح المنكر لتنكسر عنه الشهوة وتسمو عنه الهمة..

ومن التمثيل العملي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه خطا مستقيما ، وخط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، وقال : خَطَّ لنا رسول اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قال: «هذا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عن يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قال: «هذه سُبُلٌ –قال يَزِيدُ: «مُتَفَرِّقَةٌ»– على كل سَبِيلٍ منها شَيْطَانٌ يدعوا إليه ثُمَّ قَرَأَ {وأن هذا صراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سَبِيلِهِ})رواه الإمام أحمد.

ومن روائع التمثيل العملي أن رجلا جاء إلى الشيخ عبد الرحمن السعدي(ت١٣٧٦هـ)، رحمه الله وأنكر عنده استعمال المايكروفون في الصلاة والخطبة، محتجا بأنه بدعة لم يجدوا عليها آباءهم، وأنها من صنع غير المسلمين، ولا حاجة لنا بها!!!

وكان على عيني الرجل نظارة، فقام الشيخ فخلعها من عيني الرجل، وسأله: هل ترى بوضوح؟ فقال: لا يا شيخ!. فأعادها إلى عينيه مرة أخرى، وقال: والآن؟، قال الرجل: الآن أفضل!

فقال له الشيخ: يا أخي أنت تعرف بأن النظارة تقرب البعيد.. فكذلك مكبر الصوت يقرب الصوت للبعيد، فيسمعه من في آخر المسجد...[٢١]

[٢١] مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ١٠٠

وللشيخ مواقف مشابهة في الإقناع بالتمثيل العملي، وكانت ذات أثر فعال في تغيير القناعات الخاطئة.. يراجع كثير منها في كتاب: (مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي)، وهو من مراجع هذا البحث.

<u>الأمثال والتشبيهات الوعظية المروية، والمخترعة:</u>

من الأمثال التي يذكرها المتكلم في نصحه وإرشاده، وأمره ونهيه وتربيته، ما يكون محفوظا يرويه عن غيره، وهذا يشترط فيه العلم بمواطن الرواية، وسرعة البديهة في استحضار المثل الملائم للمقام.

ومنها ما يخترعه المتكلم ويبتكره من عند نفسه، فيطبقه على الحال التي يشاهدها.. قال ابن سيناء في شأن هذا النوع من الأمثال: (وليس كل الناس يليق به استعمال الكلام الرأيي [نسبة إلى الرأي]واختراع ضرب الأمثال، بل إنما يليق ذلك بالمشايخ، لأنهم المرموقون بعين التمييز؛ فتكون أحكامهم الكلية متلقاة بالإذعان، وهم المظنون بهم كثرة التجارب؛ فتكون أمثالهم التي يضربونها معدودة في الكائن. فإن تكلف الغمر [يعني المغمور غير المعروف بالعلم والفهم] الذي لم يجرب لضرب الأمثال، وإيراد الشواهد من الأحوال، فهو شروع منه فيما لا يعني، وإساءة الأدب)[٢٢].

وقال الكلاعي: «الحِكمُ والأمثال على ضربين: فمنهما مارُوي بأثناء الخطبة والرسائل، ومنا ما يأتي جوابا مُرتجَلاً، تُقَدِّمُهُ القرائح دون رويَّة، وتُنتجهُ الطبائعُ دون كُلفةٍ».[٢٣]

---

[٢٢] كتاب المنطق، لأبي علي بن سينا: ٢/٢٣٨

[٢٣] إحكام صنعة الكلام، للكلاعي: ١٨١

ومن الأمثال المخترعة ما يمكن للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والمربي، أن يقتبسه ويستفيد منه، أو يتدرب على صياغة مثله، وينسج على منواله:

كهذا المثل الجميل الرائع المروي عن صِلة بن أَشْيَم، قال ثابت البَناني: كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجُبَّان [يعني الصحراء] فيتعبد فيها ، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون ، قال : فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سَفرا فحادُوا النهار عن الطريق وناموا الليل ، فمتى يقطعون سفرهم ؟ قال : فكان كذلك يَعظِهم ، فمر بهم ذات يومٍ ، فقال لهم هذه المقالة ، قال : فانتبه شابٌّ منهم ، فقال : يا قوم إنه والله ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم اتَّبَعَ صِلَةَ فلم يزل يختلف معه إلى الجُبَّان ويتعبد معه حتى مات، رحمه الله تعالى.[٢٤]

وكهذا المثل المروي عن امرأة من بني إسرائيل وعظت به عالما من علمائهم، غاب عنه الحق، في لحظات حزن شديد ألم به، فلم ينتفع بمثل هذا المثل، فعن القاسم بن محمد أنه قال: هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القُرظي يعزيني بها، فقال لي: إنه كان عالمٌ في بني إسرائيل، وكانت له امرأة، وكان بها معجبا، فماتت، فوَجَدَ عليها وَجْداً شديدا، ولَقِيَ عليها أسفا؛ حتى خلا في بيتٍ وأغلق على نفسه، واحتجبَ عن الناس؛ فلم يكن يَدخل عليه أحد!. وإنَّ امرأة سمعتْ به فجاءته فقالتْ: إن لي إليه حاجةٌ؛ أستفتيه فيها، وليس يجزيني إلا مشافهتُه!

[٢٤] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن أبي الدنيا: ٥٢/١ ، وحلية الأولياء: ٢٣٨/٢

فذهب الناسُ ولزمتْ بابَه، وقالت: ما لي منه بُدٌ! فقال له قائل: إن ها هنا امرأة أرادت أن تستفتيك وقالت إني أُريد مشافهته، وقد ذهب الناس وهي لا تفارق الباب؟ قال: ائذنوا لها.

فدخلت عليه فقالت: إني جئت أستفتيك في أمر؟ قال: وما هو؟، قالت: إني استعرتُ من جارة لي حُلِيًّا فكنت ألبسه وأعيرُه فلبث عندي زمانا، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه؛ أفأرده عليهم؟ قال: نعم! قالت: إنه مكث عندي زمانا؟ قال: ذاك أحق لردك إياه عليهم حين أعاروكه! فقالت: أَيْ رحمك الله أفتتأسفُ على ما أعاركَ الله تعالى ثم أخذه وهو أحق به منك؟

فأبصر ما هو فيه ونفعه الله تعالى بقولها.[٢٥]

******

[٢٥] الأمثال من الكتاب والسنة، للحكيم الترمذي: ٤٨/١

المبحث الثاني

بلاغة التفصيل والإيضاح بأساليب الإطناب

مدخل:

الله ﷻ قد أيد أنبياءه بالمعجزات الباهرة، ومع ذلك لبثوا في أقوامهم عشرات السينين إلى المئات منها.

وحكى الله عز وجل عن رسله تفاصيل الخطاب مع أقوامهم، حتى ضجروا من صبر أنبيائهم عليهم، فطلبوا منهم إنجاز الهلاك الماحق ، وإنزال العذاب المستأصل: {قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }هود٣٢.

والتمهل في النصح يدل على سعة الصدر، وهو خلق يحبه الناس في غيرهم، ويتقربون من المتصف به، لا سيما إن بادلهم سعة الصدر عند سماع تفاصيل مشاكلهم، وتفهم احتياجاتهم، ودوافع تصرفاتهم.. فإن التفهم وسعة الصدر في التلقي يزيدانه قابلية بينهم، وهما من مظاهر السماحة والأريحية التي يجب أن يتصف بها المؤمن، كما اتصف بها النبيﷺ.

إلا أنه على المحتسب والمربي مراعاة ظروف المخاطبين، فلا يفرض عليهم الاستماع لكلام طويل، في مقام ضيق، وظرف غير ملائم.. بل يتحين الفرصة، أو يمهد لها لتواتيه، فيستفيد منها.

وقد كان الشيخ ابن باز –مثلا– إذا أراد الدخول في تفاصيل الاستماع والتكلم مع المخطئ أو من قيل عنه إنه قد أخطأ.. دعاه إلى مكتبه، وأكرمه، ثم انفرد معه في جلسة ود وتناصح.. يدلي فيها الشخص بدلوه، ويعلق الشيخ بما تقتضيه المصلحة.

الإطناب والتفصيل أنواع وأساليب، وأشكال متعددة كثيرة. وله مقامات تستوجبه وتستدعيه، وتحمد فيها عقباه.

وهو بمنزلة الإيجاز إذا المقام استدعاه؛ فلذا قال أبو هلال العسكري: (والإطناب إذا لم يكن منه بُدٌّ إيجازٌ. وهو في المواعظ خاصة محمود)[٢٦].

ومن الخطأ في التصور أنه إذا قيل (إن في هذا الكلام إطنابا وتفصيلا) يتصور أحدٌ مَّا بأن المراد مجيئه في جمل كثيرة.. أو صفحات عديدة.. فهذا غير صحيح، إذ يكفي لوصف الكلام بالإطناب والتفصيل أن يُذكر فيه ما يُمكن استبداله بأقل منه لولا أن المقام استدعى الأطول من الكَلامين.. كما سنرى في تفاصيل هذا المبحث.

أساليب الإطناب وطرقه البلاغية:

أولها: الإيضاح بعد الإبهام:

ليُرى المعنى في صوتين مختلفتين، وليتمكن في النفس فضل تمكن، أو لتكتمل اللذة به، بحصوله بالتدريج، وتلذذها بحصوله بعد جهلها ببعضه، أو لتفخيم الأمر، بتفسيره بعد إبهامه. ومنه قول الرسول ﷺ للأعرابي الذي بال في

[٢٦] الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٩٣/١

المسجد: (إِنَّ هذه الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ من هذا الْبَوْلِ ولا الْقَذَرِ إنما هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عز وجل وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)رواه مسلم وغيره، وقوله ﷺ للرجل الذي تكلم في الصلاة: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التكبير والتسبيح وتلاوة القرآن) أخرجه مسلم من حديث الأوزاعي.

ثانيها: ذكر الخاص بعد العام:

وذلك للتنبيه على فضل الخاص، حتى كأنه مستقل عن العام..

كقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا}[الأحزاب/٧٢].

فإن الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض عام والجبال خاص، وفائدته ههنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليه، وتفخيم أمرها.

قال ابن الأثير: (وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا)[٢٧].

ثالثها: التكرير:

أي تكرير اللفظ، أو الجملة، أو الكلام كله، وذلك لغرض بلاغي، مثل: تأكيد الوعد والوعيد. كقول الله تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ}

قال أبو هلال العسكري عن الإطناب فيها: (فتكرير ما كرّر من الألفاظ هاهنا فى غاية حسن الموقع)[٢٨].

---

[٢٧] المثل السائر ، لابن الأثير: ٢٨/٣

رابعها: (الإيغال):

وهو ختم الكلام بما يزيده فائدة، وإن كان قد تَمَّ معناه بدونها.

قال أبو هلال العسكري في تعريفه: (وهو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه؛ ثم يأتى بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا، وأصل الكلمة من قولهم: أوغل فى الأمر إذا أبعد الذهاب فيه)[٢٩].

كقول الرسل في دعوة قومهم: {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[يس/٢١]. فإن قوله تعالى {وهم مهتدون} إيغال في المعنى بعد تمامه، وقد زاد في فائدته.

خامسها: (التذييل):

وهو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معنى الجملة الأولى، ويكون الغرض من الثانية تأكيد الأولى[٣٠]. كقوله تعالى: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}الإسراء٨١، وكقوله تعالى:{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً }[الإنسان٩]

---

[٢٨] كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٩٢/١

[٢٩] كتاب الصناعتين: ٣٨٠/١

[٣٠] الإيضاح، للخطيب القزويني: ٢٠٥/٣

سادسها: (التكميل):

ويُسمى –أيضا– الاحتراس، وهو (أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه)[٣١]، أي يدفع المعنى غير المقصود. كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} الآية [المائدة/٥٤]. فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين، لتُوُهِّم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل { أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} عُلم أنها منهم تواضع، وليس ضعفا.

سابعها: (التتميم):

وهو: (أن يذكر [المتكلم] المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به)[٣٢] ، كالمبالغة، في قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً }[الإنسان]٨.

ثامنها: (الاعتراض):

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام –أو بين كلامين متصلين في المعنى– بجملة أو أكثر ، لا محل لها من الإعراب، لغرض بلاغي معين.

كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ}[النحل/٥٧] فإن قوله {سبحانه} اعتراض للتعظيم والتنزيه. وكالدعاء في قولك: «احفظ عنى –وفقك الله– ما أقوله لك». وكالتنبيه في قولك: «أوصيك

---

[٣١] الإيضاح ، للقزويني: ٢٠٨/٣

[٣٢] نقد الشعر، لقدامة بن جعفر: ٤٩/١

-والوصية بالخير قد أمر بها الإسلام- أن تحافظ على الصلاة». وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر عُلِّق بهما، كقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[لقمان/١٤]، فقد خصص حق الأم بزيادة تأكيد فوق حق الأب، عن طريق الجملة المعترضة هي: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}. وكالتنبيه على أمر ذو أهمية وتميز، كقولك: «يبقى المسلم عزيزا على كل حال -فعزته من الله وبالله- والكافر ذليلا..»

ووجه حسن الاعتراض وبلاغته أن فيه حسن الإفادة بكلام لم يتوقعه السامع، فيكونه مثله مثل الهدية والفائدة تأتيك من حيث لا ترتقبها.

تاسعها: (الاستطراد) :

ويستفيد منه الناصح بإضافة معلومة لم يتوقعها السامع، لكن يكون في الكلام ما يؤدي إليها ويمهد لها، وكأنها هدية للسامع، كما يناسب في التهيئة والتلطيف لبيئة التربية والأمر والنهي.. كما في قصة معاذ بن جبل رضي الله عنه، لما قدم من الشام، فسجد للنبيﷺ فقال له: (ما هذا يا مُعَاذُ!؟) قال: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ فَوَدِدْتُ في نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذلك بِكَ. فقال رسول اللَّه ﷺ: فلا تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لو كنت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حتى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ على قَتَبٍ لم تَمْنَعْهُ) حديث حسن صحيح، رواه ابن ماجة.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على مجرد نهي معاذ، بل استطرد بفائدة متصلة حانت لها مناسبة؛ فاستطرد إليها، وهي بيان عظم حق الزوج.

مقامات الأطناب والتفصيل في أساليب التربية والتوجيه:

المقام الأول: أن يكون الموضوع فقهيا، أو خلافيا، يحتاج لبيان الأدلة المقنعة، لاسيما إن كان المخاطب ذا علم أو صاحب جدل.. أو لديه شبهة وحيرة في الحكم، فيحسن التفصيل له.

المقام الثاني: أن تكون المعصية أو الخطأ ذا جذور ممتدة عند المخاطب، أو المخاطبين، أو في المجتمع كله، أو معظمه، فيحتاج علاجها لطول البال والنفس، وسعة الصدر، وما يلزم لذلك من تفصيل الخطاب، وتبيين المعاني وكشفها وإيضاح تفاصيلها، بشتى أنواع التغيير، والتفصيل؛ بالكلام، والقدوة ، والمعاملة الحسنة.. وغيرها.

كما اتسع الرسول ﷺ في النصح عند معالجة آثار العصبية الجاهلية التي تسللت خفية في موقف عارض إلى نفس أبي ذر رضي الله عنه، وهي آثار معرقة في القدم متأصلة في نفوس الناس، فاحتاج التحذير منها وعلاجها تفصيلا في البيان وإطنابا.

وقد حكى أبو ذر -رضي الله عنه- القصة عن نفسه للْمَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ ، فقد لقي أبا ذر بالرَّبَذَة، وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حلةٌ. قال المعرور: فسألته عن ذلك! فقال: إني سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّه فقال لي النبي ﷺ: يا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّه! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ؛ فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِه فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) رواه البخاري ومسلم.

وأما أنه ﷺ ترك التفصيل عندما تداعى الأنصار والمهاجرون بدعوى الجاهلية بعد رجوعهم من غزوة، واكتفى ﷺ بالقول للفريقين (مابال دعوى أهل الجاهلية!) ثم قال (ما شانهم؟) فأخبروه بِسَكْعَةِ المهاجريِّ للأنصاريِّ، فقال ﷺ: (دعوها فإنها خبيثة)..الحديث رواه البخاري ومسلم. فلعله ﷺ لم يفصل الكلام في (بيانِ المخطئ من المصيب في نفس الموقف؛ حتى تهدأ الفتنة)[٣٣] وتتهيأ الظروف في المدينة بعد رجوعهﷺ لاستئصال الداء في ظروف أكثر ملاءمة.

وهذا لب البلاغة التي هي (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، وتحري أفضل مقامات الخطاب والبيان.

ومن تطبيقات هذا المقام أن الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عندما يسافر بالسيارة -وكان السفر جماعيا في وقته (١٣٠٧- ١٣٧٦هـ)، لقلَّة السيارات- كان الناس يختارون له مقدمة السيارة (الغمارة) فكان لا يبقى طويلا فيها.. والسبب أنه يعلم أن كثيرا من السائقين في ذلك الوقت يشرب الدخان، فيصعد الشيخ إلى صندوق السيارة ليترك له المجال، حتى لا يحرجه، وهو قد نوى في نفسه مناصحته والسعي في إصلاح حاله، وكان يقول: (هم يحتاجون إلى وقت طويل لنُصحهم، خاصة وأنَّ ترك التدخين يحتاج -كما عُرف- إلى صبر وعزيمة قوية وإيمان قويّ بضرره قد لا يتوفر لدى بعضهم). يقول ابن الشيخ: ومثل هذه التصرفات من الوالد أثَّرتْ على كثير من السائقين، فبعضهم لما عَلِم أن الوالد يفعل ذلك لأجلهم تأثر لذلك وازداد حبهم للوالد. وأعرِفُ بعضهم قد تركَ التدخين نهائيا.[٣٤]

---

[٣٣] الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فؤاد سراج" ٧٢

[٣٤] مواقف اجتماعية من حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي: ١٣٥

المقام الثالث: أن يكون مستوى الإدراك لدى المخاطب أقل مما يتحمله الإيجاز، فيفصل له حتى يبلغ المعنى إلى نفسه أتم إبلاغ.. وإلى ذلك أشار علماء البلاغة بمثل قولهم: (وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي)[٣٥] وهذا المخاطب قد يكون جاهلا، أو غافلا، أو أعجميا، أو جديدا على الإسلام، أو ناشئا في مجتمع غير متثقف بالثقافة الشرعية.. أو طفلا صغير السن.

فأما التفصيل للجاهل فكما في قصة المسيء صلاته، فقد فَصَّل النبيﷺ وأطنب في وصف الصلاة التامة ركنا ركنا.. والحديث مشهور.

وأما التفصيل للأعجمي فقد تنبه إليه الجاحظ في وصفه لبلاغة القرآن المجيد، فقال: (ورأينا اللّه تبارك وتعالى إذا خاطب العربَ والأَعْرَابَ أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحي والحذف وإذا خَاطَبَ بني إسرائيل أو حكَى عنهم جعلَه مبسوطاً وزاد في الكلام)[٣٦]

ومن أقرب الأمثلة للإطناب في خطاب بني إسرائيل تلك الآيات المتتابعة في أول سورة البقرة، وهي تبدأ بقوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}الآيات.. وهي وعظ لبني إسرائيل للرجوع عن غيهم، وتذكر نعم الله عليهم المعنوية والحسية؛ وعظا مفصلا على وجوه المعاني تذكيرا، وزجرا، ووعدا، ووعيدا.

وأما التفصيل للطفل الصغير فكما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول اللهﷺ: «كخ كخ ارم بها؛ أما علمتَ أنا لا نأكل الصدقة» أخرجه البخاري ومسلم.

---

[٣٥] الإيضاح، للخطيب القزويني: ١/٤٣

[٣٦] الحيوان، للجاحظ: ١/٩٤

وكما في تعليمه ﷺ لعمر بن أبي سلمة، كيفية الأكل، وكان يومئذ غلاما في حجرهﷺ، وكانت يده كانت تطيش في صحفة الطعام..فلم يكتف في نهيه عن الخطأ الذي وقع فيه بالنهي عنه، بل فصل في تعليمه؛ فقال له: «ياغلام؛ سمِّ الله، وكل بيمنك، وكل مما يليك» متفق عليه.

المقام الرابع: عند السعي في إصلاح ذات البين واستلال سخائم النفوس، وأوضارها، وأحقادها الدفينة، فذلك من أهم مقامات التفصيل والإطناب، ولا يحسن فيه الإيجاز.

قال الجاحظ: قيل لقيس بن خارجة: ما عندك في حمالات داحس [يعنى الصلح عقب حرب داحس، من حروب الجاهلية]- قال: عندي قِرى كلِّ نازل ، ورِضا كلِّ ساخط ، وخطبةٌ من لدنْ تطلعُ الشمسُ إلى أن تغرُبَ؛ آمُر فيها بالتَّواصُل ، وأنَهى فيها عنِ التَّقاطُع . قالوا : فخطبَ يوماً إلى اللَّيل فما أعاد كلمةً ولا معنًى . فقيلَ لأبي يعقوب : هلاّ اكتفَى بقوله "أمر فيها بالتَّواصُل"، عنِ قول: "أنهى فيها عن التقاطُع" ؟ أوليسَ الأمرُ بالصِّلة هو النَّهيُ عن القطيعة ؟ قال: أوَ مَا علمتَ أنَّ الكنايةَ والتَّعريضَ لا يَعْملان في العُقولِ عملَ الإِيضاحِ والتَّكشيفِ[٣٧]

المقام الخامس: عند مخاطبة الشخص القَلِق الخائف، أو المتوجس خيفة من المتكلم، هيبة له، أو خوفا من غضبه.. فإن إطالة الكلام معه؛ لاسيما قبل الدخول في تفاصيل أمره ونهيه.. تؤنسه وتزيل وحشته أو تخففها.. ليتهيأ للتقبل منه.

---

[٣٧] البيان والتبيين ، للجاحظ: ٧٦/١

المقام السادس: أن يكون المخاطب ممن يحبذ سماع كلام هذا الناصح بعينه، ويستلذ خطابه، ويصبر في الاستماع إليه، وقد يكون للمتكلم قابلية عند معظم السامعين، -ليس عند سامع واحد- فيتحملون -بل يطلبون- تفاصيله، ويستطيبون الجلوس الطويل أمامه.

ومع ذلك فربما كان من الحكمة الاقتصار على القدر اللازم من الكلام،ولو كان الداعي إليه مثلما ذكرنا، فقد ذكر الإمام البخاري في كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة؛ عن أبي وائل قال: كان عبد الله (يعنى ابن مسعود) يذكّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: «يا أبا عبد الرحمن لوَدِدْتُ أنك ذكّرتنا كل يوم»، قال: «أما إنه يمنعنى من ذلك أنّي أكره أنْ أُمِلَّكُم وإني أتخَوَّلُكم بالموعظة كما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يتخَوَّلُنا بها مخافةَ السَّآمةِ علينا».

المقام السابع: في خطاب المنكر والمتردد.. كما في تفصيل الأمر والنهي لأصحاب القرية التي جاءها المرسلون، فقد فصل لهم الرسل بعد تكذيبهم لهم في المرة الأولى، تفصيلا زائدا على ما استفتحوا به الدعوة لهم؛ قال تعال: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذَا جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ* قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ* وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[يس: ١٣-١٧].

ففي حال كان المخاطب منكر، وتهيأ المجال للتفصيل، وترجح لدى المتكلم أن المخاطب ينتفع به؛ كانت البلاغة حينئذ فيه.

وأما التردد فليس جزما بالإنكار، ولكنه حال بين الحالين، ويكون المخاطب قريبا من الاستجابة؛ فيحتاج للتفصيل ببيان الدليل، أو الشرح والتوضيح.. وللتردد أسباب توقع فيه، ومنها أن يكون المتكلم قد أسمع المخاطب كلاما لم يتوقع مثله، أو أمره بأمر لم يجد الحماس والقناعة الكافية لامتثاله، أو نهاه عن شيء لم يتوقع أن يُنهى عنه؛ لجهله بعواقبه، أو لتعلق نفسه به تعلقا زائدا.

ومن أمثلة ذلك أن تنهى شخصا عن سماع الغناء، أو امرأة عن التبرج؛ فلا يقع كلامك موضع القبول من السامع، فكأنه يتساءل عن صحة قولك، ويتهيأ لسماعه؛ فتفصل له ببيان الدليل على التحريم.. وفي هذه الحال تكون البلاغة والبراعة والفصاحة في هذا الإطناب والتطويل، ولا يسوغ لك الإيجاز والاختصار.

المقام الثامن: في خطاب المعاند والمعرض إعراضا شديدا، فيكون في الإطناب والتفصيل إقامة للحجة عليه، وبيان لما خفي عنه من عواقب ضلاله البعيد، كقول الله تعالى:{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ* أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ* أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٧-٩٩] فتكريرُ ما كُرِّر من الألفاظ هاهنا في غاية حُسن الموقع.[٣٨]

المقام التاسع: عبر عنه أبو هلال العسكري بقوله: (لا شك في أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة

[٣٨] كتاب الصناعتين: ١٩٣/١

والترغيب في الطاعة والنهى عن المعصية سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب)[٣٩]

١٠/عند إرادة التقرب إلى العاصي بتلطيف العلاقة معه، ومد جسر المودة إلى قلبه، فهذا يمد له في الكلام مدا، ويبادله الحوار الهادئ، والمجاملات اللطيفة، ولا يأنف من ذلك أو يستثقله، ولا يشك في جدواه ونفعه..

ويدخل في هذا استفتاح الكلام واستهلاله، وطيب المحادثة في أول اللقاء،

---

[٣٩] كتاب الصناعتين: ١٩٣/١

المبحث الثالث

بلاغة التفصيل والإيضاح بأسلوب الحوار

مدخل:

الحوار والنقاش جزء لا يتجزأ من التواصل في مجالات التربية والتوجيه؛ بل إن المحاور غير الجيد، أي الذي لم يتعلم كيف يرد، وكيف يجيب، وكيف يقنع ويؤثر في السامع، قد يسيء لهذه الشعيرة أكثر مما يحسن إليها...

ومن الحوار المقنِع ما وقع من عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية؛ فقد كان اتجه إلى الزهد الشديد في الدنيا بعد موت رفيقه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره!. فقال له عبد الرحمن: أسألك عن شيء تصدقني عنه؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن حالتك التي أنت عليها أترضاها للموت؟. قال: اللهم لا!. قال: أفعزمتَ على انتقالٍ منها إلى غيرها؟. قال: ما انتصحتُ رأيي في ذلك!. قال: أفتأمنُ مِن أن يأتيك الموت على حالك التي أنت عليها؟. قال الرجل: اللهم لا!. قال عبد الرحمن: حال ما أقام عليها عاقل! ثم انكفأ إلى مصلاه)[٤٠]

وكان ابن تيمية رحمه الله علَم في الحوار مع المخالفين، وكثيرا ما كسب الأنصار إلى جانبه بهذا المسلك العاقل الذكي، ومن يراجع ما كتُب عنه في كتاب (الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبي العباس

---

[٤٠] صفة الصفوة: ٨١٠

أحمد بن تيمية) لمؤلفه: محمد بن عبد الهادي المقدسي، المتوفى سنة (٧٤٤) هجرية، يجد فيه بغيته من ألوان الحوار ونتائجه..

وقد رأيت من خلال قراءتي لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية في حواراته أن نجاح الحوار الشرعي مرهون بعدد من عوامل النجاح، ومن أهمها:

أولا: وجود محاورين أقوياء، نشأوا على عزة النفس، والنزاهة والتجرد، وتربوا على العلم والفقه والزهد، كما هي حال شيخ الإسلام.

ثانيا: وجود سلطة حاكمة تنصر الطرف الذي يظهر الحق على لسانه، وتمنع الخلاف عليه.. وإلا فلن ينفع الحوار بشيء، سوى أن يظل الناس في دائرة مفرغة لا أول لها ولا آخر، وقد كان ابن تيمية مستندا لهذه السلطة كما استند إليها معارضوه وخصومه، وقد تكون تلك السلطة مع خصمه في أول الأمر، لكنها ملزمة بحكم مهامها ومبررات وجودها أن تسنده إذا بان الحق على لسانه، وإلا فسوف تسقط شرعيتها _أو تهتز_ ومبررات وجودها.

ثالثا: وجود مجتمع يقدر الحوار، ويحترمه، وينادي به، أي وجود ثقافة جماهيرية متحاورة، متجردة.. وأما الحوار في بيئة ترفضه فهو قصير العمر، والتأثير.

رابعا: تأصيل مرجع يلجأ إليه عند الاختلاف.

وفيما يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحلال والحرام، لا مرجع فوق الكتاب والسنة، وأما الرجوع لأقوال العلماء ومذاهب الفقهاء دون المعرفة بأدلتهم والتعريف بها عند الحوار فذلك ما يزيد في إذكاء نار الجدل، ولا يغلق بابه.. وهو أيضا مما يقلق النفس ويزعزع الأصول.. ولذا كان الإمام ابن

باز رحمه الله لا يرضى بأن يَنسب فتواه أو رأيه لمذهب من المذاهب، بل كان يعود بها رأسا إلى كتاب الله وسنة نبيهﷺ.

حدَّث فهد البكران أنهم نشروا فتوى في مجلة الدعوة ونسبت صيغتها للشيخ، وكان في مطلعها (في المذهب..) فسأل الشيخ عنها، وعند مراجعته معنا لنص الفتوى قال سماحته: (نحن لا نقول "جاء في المذهب"، وإنما نقول: "قال الله سبحانه، وقال رسوله عليه الصلاة والسلام".. وأعطانا نص الفتوى الصحيحة)...[٤١]

*****

أسلوب الحوار الطويل (المناظرة) وأسلوب الحوار القصير العابر:

الحوار قد يكون طويلا، فيكون في صورة مناظرة، وقد يكون حوار خاطفا وقصيرا.. وكل منهما محتاج لإتقان البلاغة فيه.

وفي علم البلاغة إشارات متفرقة تنفع في استجلاء بلاغات الحوار اللفظية، وسأتتبعها لالتقاط ما يمكن أن ينتفع به في هذا المجال، وإيضاحه.

ومن الملاحظ أن أسلوب الحوار ربما يختلط فيه الصمت والإضمار مع النطق والإفصاح، أي أن المحاور قد يجيب -مثلا- عن سؤال لم يُصرِّح به الآخَر، لكنه فهمه منه فهما... أو قد يؤكد الخطاب لمخاطب لم يطلب منه التأكيد، لكنه فهم أنه محتاج إليه، فهذه أمثلة لحركة خفية تتحرك تحت سطح الجُمل

[٤١] مواقف مضيئة: ١٦٢

المسموعة، لكن المحاور الجيد يشعر بها، ويلتفت إليها، ويعطيها حقها في أسلوبه..

فإذن نحن أمام طبقتي حوار: الطبقة الظاهرية، أي الحوار المسموع، والطبقة الخفية، وهي المفهومة من حال المخاطب، أو من صمته...

****

بين الحوار الجدل المشروع والمراء المذموم:

مصطلح (الحوار) قريب –في بعض دلالاته– من معاني الجدال بالتي هي أحسن ودلالاته ، على حد وصف القرآن الكريم له، لكن وصف القرآن أبلغ وأكمل وأجمل، من ناحية أن لفظ الحوار يعبر عن التكافؤ في التعامل فقط.. وأما الجدال بالتي هي أحسن فيعبر عن الارتفاع في درجات الحسن بين المتحاورين درجةً بعد درجة.. في اللفظ والمعنى والخلق ، فكأنهما يتنافسان في الفضائل والمعالي بكافة أشكالها.. وليس وراء هذا التعبير القرآني تعبيرا أفضل منه..

وأما الجدال المجرد مما وصفه به القرآن، أي الجدل المجرد عن وصف الأحسنية، فهو المراء المذموم في كل حال.. كقوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنكمْ لَمُشركون}[الأنعام:١٢١]. أي: أطعتموهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله..

من علامات تحول الحوار إلى مراء وجدل مذموم:

حب الظهور، والتعصب وحب الانتصار للنفس، والتعالي، والغرور، والعجب بالنفس، وارتفاع الصوت، وسوء اللفظ، وتكرار الكلام، وتشتت الذهن، وتفرع

المسائل، والشعور بالإهانة، وغياب الهدف المشترك، والتوتر، ومقاطعة المتكلم، والشماتة به، هي من علامات انحراف الحوار والجدل بالتي هي احسن إلى المراء المذموم، والجدل المستقبح.

وقد كان العلماء الناصحون يهربون من المراء هروبهم من السباع الضاريات، وقد قرأت في سيرة ابن باز رحمه الله، الذي علما في الحوار بالتي هي أحسن، فإذا هو إن رأى الجـــدل بالتي هو أحسن قد تحول إلى مراء ومماحكة ، تَركَه.

حتى اعترف بعض من كان يُعارضه من أهل الجدل باحترامهم لطريقته، وتأثرهم بها، بل ربما كان تركه للجدل معهم سببا في تركهم لرأيهم المخالف الذي كانوا يستميتون في الدفاع عنه، كما اعترف بذلك أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، قال: أتيت سماحته فأفتاني.. وكان قد حُمل إليه عدد من (مجلة الثقافة والفنون)؛ كتبتُ فيها خمسا وأربعين صفحة مما لا تسر الكتابة عنها، ولا تشرِّف. فصار ينهرني، وكان الشيخ دائما يردد: "ما أعظم مصيبتك عند الله!". ثم صار يبرم أطراف غترته، ويدعو لي، وقد اغرورقت عيناه، فزالت الموجِدة من نفسي، وتمزق قلبي حزنا لِصدق هذا الإنسان في موعظته، وحرصه على هداية الناس، وطلب حسنى العاقبة لهم، ولو جادلني لكابرتُ في المجادلة، وقد فتح الله قلبي لحسن نيته، ومنذ تلك اللحظة بشهور تقلَّص حب الغناء والطرب من وجداني، وتولدت عندي كراهية الغناء كراهية ما كنت أتصور حدوثها قطُّ. فسبحان مقلب القلوب)[٤٢].

[٤٢] مواقف مضيئة من حياة الإمام ابن باز: ٢١٠

وكانت أعظم وسيلة عند الشيخ في قطع حبل الجدل هي بيان الحق الذي يعتقده بالدليل من الكتاب والسنة.. فإن استمر المناقِش بالجدل انصرف عن الموضوع ، حتى تخبو نار جدله، فكان لا يقبل عليه، ولا ينصت إليه[٤٣]، ربما لأنه كان يعد الجدل والمراء معصية وأن الإقبال على المماري تأييد له في ارتكابها..

وكان كما وصفه ابن عقيل الظاهري: (لا يحب الجدل والتشقيق الفلسفي)[٤٤]

ثم كان الشيخ يردد التسبيح والدعاء والذكر[٤٥] حتى ينقطع المجادل عن جدله، ومن ثم يستأنف الشيخ درسه.

وقد اهتم الدعاة إلى الله بتخلية عبارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يشير إلى حظوظ النفس، وما تحقق لهم ذلك إلا بتطهير قلوبهم من تلك الحظوظ الدنيوية.. ولذا كان الانتفاع بكلامهم كبيرا..

وكان الشيخ ابن عثيمين قد اعترض على من مدحه بقصيدة ربط فيها قوة الدين بوجود الشيخ ابن عثيمين، فأوقف الشيخ استرسال الطالب الشاعر، وقال: أنا لا أوافق على هذا، المدح؛ لأني لا أحب أن يُربط الحق بالأشخاص ... ثم أضاف: أنصحكم من الآن وبعد الآن ألَّا تجعلوا الحق مربوطا بالرجال.[٤٦]

ومن علامات صدق الاحتساب أن لا يقطع العلاقة انتصارا لنفسه ممن لم يقبل منه، بل يستبقي علاقته به، لأمرين: أولهما أنه مسلم له حق الأخوة في

---

[٤٣] ينظر : مواقف مضيئة من حياة الإمام ابن باز: ٢٣٣

[٤٤] مواقف مضيئة من حياة الإمام ابن باز: ١٦٣

[٤٥] ينظر: مواقف مضيئة من حياة الإمام ابن باز: ١٦٣ وغيرها..

[٤٦] صفحات مشرقة من حياة الأمام ابن عثيمين: ٢٩

الدين، وثانيهما: أنه قد يعود بعد أن يراجع نفسه ففي الهدوء مساعدة للعاصي ليثوب إلى رشده.

فقد لا يتحقق القبول في أول الكلام معه، لكنه بعد أن تهدأ نفسه ويتجرد من حظوظ النفس، ومراعاة الحضور، وحب الظهور، فإن قد يثوب للحق المطلوب..

يقول عبدالله بن صالح العبيلان: سألت الشيخ ابن باز عن أن كثيرا من المختلفين مع الشيخ يوادُّونه ويحبونه، فما السبب في ذلك؟ فأجاب رحمه الله: لا أعلم شيئا إلا أني بحمد الله منذ عرفتُ الحق في شبابي وأنا أدعو إليه، وأصبر على الأذى في ذلك، ولا أحابي في ذلك أحدا، ولا أداهن في ذلك أحدا، أقول الحق واصبر على الأذى، فإن قُبل فالحمدُ لله، وإن لم يُقبل فالحمد لله! هذا هو الطريق الذي رسمته لنفسي؛ مشافهة ومكاتبة)...[٤٧]

<u>مهارات بلاغية في الحوار والمناقشة:</u>

المهارة الأولى: حسن الاستماع:

فإن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدِّي إليه الخطابُ. و(الاستماعُ الحسنُ عونٌ للبليغ على إفهام المعنى)، كما قال أبو هلال العسكري[٤٨].

---

[٤٧] ينظر: مواقف مضيئة: ٢٥

[٤٨] كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٦

وفي حسن الاستماع عدل، والمحتسب والناصح في محل القاضي، على ما تم بيانه في موضعه من هذا البحث، وحسن الاستماع يحمي الناطق والسامع من سوء الفهم، وما يترتب عليه من المفاسد.

وفي التذكرة الحمدونية: (تعلّم حسن الاستماع وإمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفّت إلى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول)[٤٩]

المهارة البلاغية الثانية: الإبداع في إثارة الأسئلة والقدرة على الإجابة عليها..

بعض من أساليب الناصحين تعتمد على ترصُّد انبعاث التساؤلات في نفس السامع، ليأتي الجواب في محله، ويقع موقعه بعد أن تكون النفس قد طلبته وتطلعت إليه..

ومن ذلك أن النبيﷺ لما رأي المسيء في صلاته، لم يعلمه من أول الأمر، بل ردده ثلاثا، يقول له في كل مرة (ارجع فصل فإنك لم تصلِّ!)، حتى جاءت المبادرة من الرجل، فقال (والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني؟.) فشرع النبيﷺ في تعليمه.

ويتبادر من أساليب البلاغة هنا الفن المسمى (شبه كمال الاتصال)، ومعناه: أن تكون الجملة التالية في كلام المتكلم بمثابة إجابة عن سؤال أثارته الجملة السابقة عليها وأشارت إليه، كقوله تعالى {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}[الحج:١]، فإن الآية على قسمين الأول الأمر بالتقوى. ثم

[٤٩] التذكرة الحمدونية، لمحمد بن حمدون: ٣٩٣/١

تعليل هذا الأمر وبيان سببه الداعي إليه، وكأن هذا التعليل وقع إجابة عن سؤال أثارته الجملة السابقة عليه، كأنه قيل: لم أُمر الناس بتقوى ربهم؟ ، قال ابن الأثير: (فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه).[٥٠]

وهذا هو ماسمي (شبه كمال الاتصال) وهو من أبحاث باب الفصل والوصل، من علم المعاني.

وقد يصرح المحاور بهذا السؤال، فيحاور به علانية، كما في هذه القصة: وفيها أن رجلا جاء إلى سلمان الفارسي، رضي الله عنه، فقال أوصني!. قال: لا تتكلم!. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم! قال: فان تكلمت فتكلم بحق أو اسكت. قال: زدني. قال: لا تغضب! قال: إنه ليغشاني مالا أملكه. قال: فان غضبت فأمسك لسانك ويدك. قال: زدني! قال: لا تُلابِس الناس. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يُلابسهم! قال: فان لابستهم فاصدق الحديث وأدِّ الأمانة)[٥١].

لقد استطاع سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يثير التساؤل عند الرجل، عندما أمره بما لايطيقه على إطلاقه.. فكان الكلام المطلق العام مهيئا لاستيعاب التفاصيل ا لضرورية فيما بعد.

وقد يطرح الناصح الأسئلة على المنصوح؛ سؤالا، أو أكثر.. وتكون الإجابات ملزِمة للمخاطب بالإنكار على نفسه، والاستدلال على خطئه، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذي سأله الإذن له بالزنا!.. فَهَمَّ مَن كان قُرب النبي ﷺ أن يتناولوه! فقال النبي ﷺ : دَعَوه ، ثم قال له النبي ﷺ:

---

[٥٠] المثل السائر، لابن الأثير: ٩٨/٣

[٥١] الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا: ٢٧٦ ، وتهذيب الكمال، للمزي: ٢٥٤/١١.

أتحب أن يفعل هذا بأختك ؟ قال : لا ، قال : فبإبنتك ؟ قال : لا ، فلم يزل يقول فبكذا فبكذا كل ذلك يقول : لا ، فقال النبي ﷺ فاكْرَهْ ما كَره الله وأَحبَّ لأخيك ما تحب لنفسك)[٥٢].

المهارة الثالثة: المعرفة بالاحتمالات الممكنة جميعها، وطرحها إن كان ذلك ضروريا، ليكون المحاور على بينة في اختياره:

وهذا يسمى في البلاغة (حسن التقسيم)، وهو من علم البديع، ومعناه: استيفاء أقسام الشيء بالذكر.[٥٣]

ومن أهم منافعه أنه يحول مركزية اتخاذ القرار إلى العقل، ويستبعد أو يضعف فاعلية العاطفة، وهذه العملية التحويلية من أكبر مكاسب الناصح، لأن العقل الصحيح ينجح غالبا في تعديل المسار الخاطئ، ويدل على هذا قصة علي بن الحسين رضي الله عنهما؛ فقد كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعضُ الأمر؛ فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد؛ فما ترك شيئا إلا قاله له... وعليٌّ ساكتٌ؛ فانصرف حسنٌ، فلما كان في الليل أتاه علي بن الحسين في منزله فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له عليٌّ: يا أخي: إن كنت صادقا فيما قلتَ لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك، السلام عليكم!. وَوَلَّى. فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه، وبكى حتى رَثَى له! ثم قال حسن: لاجرم؛ لاعُدتُ في أمر تكرهه!. فقال عَليٌّ: وأنتَ في حَلٍّ مما قلتَ لي.[٥٤]

---

[٥٢] كنز العمال: ١٨٢/٥

[٥٣] الإيضاح للقزويني: ٣٧٢

[٥٤] صفة الصفوة: ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: ٣٩٧/٤ ،

وتحصل الصحة في التقسيم عندما تكون الأقسام المذكورة تامة لم يخل بشيء منها ولا تكررت ولا دخل بعضها في بعض[٥٥] .على نحو التقسيمات الله تعالى: {هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً}[الرعد:١٢].

وقد يستعمل التقسيم في الحوار والمجادلة في فتوى شرعية، فيكون من (حسن التقسيم) إيراد كافة الأقوال مع أدلتها، ليكتشف المخاطب بنفسه قوة دليل القول الراجح، ووهن ما سواه من الأقوال في المسألة..

إلا أنه إن كان المخاطب عاميا، أو ضعيف الاحتراز لدينه، فقد يلتبس عليه الأمر بكثرة الأقسام، أو يكون له فيها فتنة؛ فيحسن –حينئذ– مساعدته في الاختيار، وتحاشي فتح باب التساهل، أو الشك والحيرة، عليه. قال النمري الحراني: ..(وله أن يفصل الأقسام في جوابه؛ ويذكر حكم كل قسم. وقيل: هذا ذريعة إلى تعليم الناس الفجور وفتح باب التمحل والتحيُّل الباطل، ولأن ازدحام الأقسام بأحكامها على فهم العامي يكاد يضيعه)[٥٦].

المهارة الرابعة: (الاستدراج) في الحوار والمناقشة:

وهو من فنون علم البديع؛ بل عليه مدار جزء لا يستهان به من البلاغة كما أشار إليه ابن الأثير[٥٧]، لأن كل ما يبذله المتكلم من جهد في إيراد الألفاظ المليحة، والمعاني المصطفاة ما هو إلا استدراج للمخاطب لإقناعه بمقاصد المتكلم.

---

[٥٥] سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي: ٢٣٥

[٥٦] صفة الفتوى والمستفتي، لأحمد بن حمدان النمري الحراني: ٥٧

[٥٧] المثل السائر، لابن الأثير: ٦٤/٢

قال الثعلبي في تفسيره: (قال أهل المعاني : الاستدراج أن يدرج إلى الشيء في خفيّة قليلاً قليلاً ولا يباغت ولا يجاهر)[٥٨].

إلا أن البلاغيين خصصوا هذا المصطلح بأسلوب من أساليب الكلام، وهو ما يتم بطريقه (إرخاء العنان مع الخصم في المجاراة ليَعثُر ، حيث يُريد تبكيته)[٥٩] (ومن ذلك قول الله تعالى حكايةً عن مؤمن آل فرعون: { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[غافر:٢٨] ، فإنه أخذ معهم في الاحتجاج بطريق التقسيم ، فقال : هذا الرجل إما أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتعداه ، وإما أن يكون صادقاً فيصيبكم (بعض) ما يعدكم به؛ ولم يقل : (كل) ما يعدكم به ، مخادعةً لهم وتلطفاً (واستدراجا)؛ واستمالة لقلوبهم كي لا ينفروا منه لو أغلظ في القول ، وأظهر لهم أنه يهضمه بعض حقه.

ومن ذلك قول إبراهيم على ما حكاه تعالى عنه في قوله : { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا.يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[مريم:٤٢-٤٥] ، فطلب منه في مبدأ الأمر السبب في عبادته الصنم والعلة لذلك، ونبهه على أن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً قبيحة ، ثم لم يقل له : إني قد تبحَّرت في العلوم ، بل قال له : قد حصل عندي نوع من العلم لم يحصل عندك . وهذا باب الأدب في الخطاب ، ثم نبهه

---

[٥٨] تفسير الثعالبي: ٣١٢/٤

[٥٩] مرقاة المفاتيح، لعلي بن سلطان القاري: ٣٧٠/١٠

على أن الشيطان عاصٍ لله ، فلا يجوز اتباعه ، ثم خوفه من عذاب الله إن اتبع الشيطان ، وخاطبه في جميع ذلك بقوله : ' يا أبت ' ؛ استعطافاً واستدراجاً)[٦٠].

قال ابن الأثير: (وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لا سيما في مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم للكفار والرد عليهم)[٦١]

المهارة الخامسة: أسلوب الإنصاف:

ويسميه بعض البيانيين: الكلام المنصف.

وبه تتجلى للخصم ثقة المحاورِ بنفسه، (وهو: أن يذكر [المتكلمُ للمخاطب] أمراً يُسلِّمه له -[أي يوافق له عليه على سبيل المجاراة]- وإن كان بخلاف ما يذكر؛ حتى يُصْغِي إلى ما يلقيه إليه؛ إذ لو بدأه بما يكره لم يُصْغِ ، ونظيره قولهم : أخْزَى اللَّهُ الكَاذِبَ مِنِّي ومِنْكَ)[٦٢].

وبعبارة أوضح هو: أن تجعل الخصم حكما في الاختيار لنفسه، ليختار من خيارين -أو أكثر- أحلاهما مر بالنسبة إليه.

كقوله تعالى: { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ:٢٤].

وقول حسان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في الإنكار على من سب الرسولﷺ :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

---

[٦٠] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠١/٢

[٦١] المثل السائر، لابن الأثير: ٢/ ٦٦

[٦٢] اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي: ٥٩/١٦

ومنه أن رجلا شتم ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه بدا، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة)[٦٣].

المهارة السادسة: الاستدلال المنطقي: (المذهب الكلامي) :

وهو من فنون علم البديع، عند علماء البلاغة.[٦٤]

وإنما نسب إلى (عِلم الكلام) لأن علماء الكلام استندوا إليه أكثر من غيرهم، في مجادلاتهم.[٦٥] (وهو إيراد حجة تكون -بعد تسليم المقدمات- مستلزِمة للمطلوب).[٦٦]

وقد ذكره عبد الله بن المعتز ((٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) ونفاه عن القرآن الكريم، لما فيه من التكلف، وهذا صحيح بالنسبة إلى الشواهد الشعرية التي ذكرها ابن المعتز لهذا الأسلوب، لكن العلماء من بعده وسَّعوا دائرة هذا الأسلوب ليشمل أنواعا من الاحتجاج والاستدلال العقليين الخاليين من التكلف، ومن هنا قالو بصحة وجوده في القرآن الكريم والحديث الشريف.

---

[٦٣] صفة الصفوة: ٢٧٥

[٦٤] ينظر : الإيضاح، للخطيب القزويني: ٣٤١

[٦٥] ينظر: نهاية الأرب، للنويري: ٩٥/٧

[٦٦] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي: ١٠٦/٤

ولذا فإن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قد يستعمله في بعض المواضع، في نصحه، أو في حواره.. ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}[آل عمران:١٥٤] وقوله سبحانه:{لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢]، {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}[يس:٧٩]..

(ومنه قوله ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" رواه الإمام أحمد وغيره.

وتمام الدليل – في هذه الحديث–أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه ﷺ)[٦٧]

وقوله ﷺ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ"

قال أبو حيان في تفسير البحر المحيط: (هذا النوع عند علماء البيان يسمى الاحتجاج النظري : وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدلّ عليه بضروب من المعقول)، ثم قال: (وبعضهم يسميه : المذهب الكلامي)[٦٨]. وقال في موضع آخر: (هو: أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج)[٦٩]

ولتوضيح المقصود بالاحتجاج ، نقف يقول أبو حيان في قول الله تعالى {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً}[النساء:٨٢]: (ووجه هذا الدليل أنه ليس مِن متكلمٍ كلاماً طويلاً إلا وُجِد في كلامه اختلاف كثير ، إمَّا في الوصف واللفظ ، وإمَّا في المعنى؛ بتناقض أخبارٍ ، أو الوقوعِ على خلاف المخبَر

---

[٦٧] خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي: ٣٦٤/١

[٦٨] البحر المحيط، لأبي حيان: ٩٦/٣

[٦٩] البحر المحيط: ٣٤٤/٥ ، وينظر كتاب : التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني: ٢٦٥

به ، أو اشتمالِه على ما لا يَلتئم ، أو كونِه يمكن معارضتُه. والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنه كلامُ المحيطِ بكل شيء)...[٧٠]

ولا بد من لزوم طريقة القرآن الكريم وأدبه وتطبيقات النبي الحكيم –صلى الله عليه وسلم– عند استعمال هذا الأسلوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي لا بد من البعد عن التكلف فيه، والحذر مِن ليِّ العبارة وتصعيبها على فهم السامع.. فإن ذلك مما ينفره ويباعد بينه وبين المتكلم إليه، أو يوقعه في التحيُّر أو الشك.. فتأتي نتائج هذا الأسلوب على عكس المتوقع منه.

ومن الاقتداء بالقرآن في هذا الأسلوب ماحكاه أبو هلال العسكري، في الصناعتين، أن أبا الهذيل حضر جنازة فما دُفن الميت، قال رجلٌ: يا أبا الهذيل؛ الإيمان برجوع هذا صعبٌ!. فقال أبو الهذيل يُعيده الذي أنشأه أولَ مرة، إنه على رجعه لقادر.[٧١]

ومما يدخل في هذا الأسلوب التعليل للمأمور به، أو المنهي عنه، تعليلا مقنعا للسامع، فهذا مما يخفف ثقل التكليف على نفسه، فإن –كما قال البراثي، وهو من الزهاد– (من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال)[٧٢].

وعن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول: كنت مع أبي، فأخذت من حائط تبنةً، قال: فقال لي: لم أخذتَ؟. قال: قلتُ: إنما هي تبنةٌ!. قال: لو أن الناس أخذوا تبنةً تبنةً هل كان يبقى في الحائط تبنٌ؟![٧٣]

---

[٧٠] البحر المحيط: ٣١٧/٣

[٧١] كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٨

[٧٢] صفة الصفوة: ٤٥٣

[٧٣] كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل، للمروزي: ١٩

المهارة السابعة: لطف العبارة والأسلوب:

ويتمثل ذلك في تجنب العبارات الجارحة، والألفاظ السوقية النابية، واتخاذ لغة العلم مطية للتواصل والتفاهم، مكسوة برقة المسلم المحب لأخيه المسلم، أو المسلم المشفق على الكافر من عذاب أليم.

وذلك مهما بلغ المخاطب في الحدة ، والاسترسال في الشدة..

يقول عبيد الله محمد أمين كردي: كان لقاء ما قبل الأخير مع سماحته في مسجد ابن عباس في الطائف انتهى بأني تعلمتُ منه -رحمه الله- جانبا خُلقيا عاهدت نفسي أنت أتمثله... ألا وهو أن أزيد ترفقا كلما زاد محدثي حدة؛ لأن حواري معه كان عن زكاة الفطر... فلاحظتُ أنه كلما زادت حدتي معه يلاطفني بدعاء الهداية للجميع، مع ابتسامة لها سموها الخلقي ومعناه التربوي)..[٧٤].

ومن مواقف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن طالبا خَطَّأ الشيخ صراحةً في طريقة صياغته لسؤال سأل به الطلاب، فغضب الحضور من أسلوب الطالبِ، إلا أن الشيخ ابتسم له، وطلب منه الاقتراب [للميكروفون] ، ثم طلب منه بكل تواضع العلماء أن يُبدي حجته، وحينما أبدَى الطالبُ وجهة نظره، أعاد له الشيخُ السؤالَ، ووضَّح له ما التبس عليه، وبيَّن له خطأه في الفهم، ونصحه بكل أبوية ألَّا يتسرَّع في إطلاق الأحكام قبل الفهم.[٧٥]

---

[٧٤] مواقف مضيئة: ١٤

[٧٥] صفحات مشرقة من حياة الأمام ابن عثيمين: ٣٨

الخلاصة

نستخلص مما سبق في هذا البحث أن المربي والموجه قلما يستغنيان عن معرفة أدوات التفصيل والإيضاح ، لمقاماتٍ تفرضها، وأنهما إن لم يُتقنا ذلك المطلوب فقد تأتي نتائج الجهود على خلاف المقصود.

وقد رأينا أن تلك الأساليب المعنية بالتعليم والمدارسة والتدريب مختلفة ومتنوعة؛ فمنها ما يتحقق عن طريق التصوير الفني للموقف أو الفكرة، بالتشبيه، أو التجسيد، أو التشخيص، وهما ما يُسمى –بلاغيا– المجاز، وهو أنواع عديدة؛ منها الاستعارة، والتمثيل، والمجاز المرسل..

ومنها مايَتحقق بطريق الإطناب المباشِر؛ بأساليبه التي تحدث عنها البلاغيون؛ وفيها يَعمد المتكلم إلى زيادة المبنى لِتَتَحقق له زيادةٌ في المعنى وترسيخٌ له في ذهن المتلقي.

ومن التفصيل ما يُحققه الحوار والمناقشة، بشروطهما الأدبية والفنية التي فَصَّل البحث أكثر جوانبها أهمية، وأكد على أن الحوار لُغةُ العصر؛ في ظل التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة والسريعة والمؤثرة جدا؛ فإنه ما لم يكن المربي والآمرُ والناهي والناصحُ والموجهُ على بَصيرة من فنون الخطاب والبلاغة والتأثير في التصوير والتفصيل والحوار فلسوف تَختطف منه الحوارات الأخرى هدفه، وتسبقه إلى فرض رؤيتها وتصورها الذي قد يكون مضادا، أو هداما، بل ولربما تسبب سوء الأسلوب وقُصور الحوار في انصراف الشخص المستهدف بالدعوة والتوجيه والتربية– عن الطريق الذي كان يختطه له المربي والناصح والموجه.

وقد عني هذا البحث عناية خاصة ومستمرة بربط القاعدة والأسلوب مع تطبيقاته الممكنة، تقريبا لها وتوضيحا، و لغرض إزالة للبس، ودفعا لنقص التصور، حيث تفتقر بعض الدراسات إلى التطبيق وروحه وحياته، وهذا مما باعَد فيها الفجوةَ مع القارئ.

والله أسأل أن ينفعني وغيري بما قرأنا وكتبنا.

المصادر والمراجع

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

- الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت. ب/ت

- الإخلاص والنية ، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، حققه وعلق عليه: إياد خالد الطباع، الناشر: دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ

- الأمثال من الكتاب والسنة ، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، دار النشر : دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت – دمشق ، تحقيق : د . السيد الجميلي

- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- أنوار الربيع في أنواع البديع، لعلي بن أحمد بن محمد معصوم ، الشهير بابن معصوم

- البيان والتبيين ، للجاحظ ، دار النشر : دار صعب – بيروت ، تحقيق : فوزي عطوي.

- التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

- الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لفؤاد سراج

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

- الحيوان ، للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، دار النشر : دار الجيل – لبنان/ بيروت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون

- خزانة الأدب وغاية الأرب : لابن حجة الحموي؛ تقي الدين أبي بكر علي ، دار النشر : دار ومكتبة الهلال – بيروت – ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عصام شقيو

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

- شرح صحيح البخاري ، لابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، دار النشر : مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.

- الصمت وآداب اللسان ، لابن أبي الدنيا؛ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني

- صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي. ب/ت

- صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح العثيمين، تأليف: حمود عبد الله المطر.

- كتاب الزهد الكبير ، للبيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٩٩٦ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : عامر أحمد حيدر.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩هـ–١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي.

- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، دار النشر : المكتبة العصرية – بيروت – ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري؛ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار

النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي. ب/ت

- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير؛ أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لعلي بن سلطان محمد القاري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : جمال عيتاني.

- مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: محمد السعدي، ومساعد السعدي.

- مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز . تأليف: حمود المطر. دار الوطن.

- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة، الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة الأولى.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي

- الورع ، ابن حنبل؛ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ – ١٩٨٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. زينب إبراهيم القاروط